الخطبة السابعة والثلاثون

معنى التوحيد ومعنى الشهادة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعد:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 21/ 25]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 9/ 31].

الرسل جاءت بأمر واحد، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 7/ 59].

وكلمة التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ إنها الميثاق الأول والأخير، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 172].

وقال عليه الصلاة والسلام: «فإن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله» متفق عليه، وقال ﷺ: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك

بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (حم - ق - عن ابن عباس).

قال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 19/ 87].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العهد هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراء من الحول والقوة إلا بالله، وألا ترجو إلا الله، ولا تخاف ولا تدعو ولا تتضرع إلا لله، وأن لا تعلق القلب بشيء إلا بالله، وأن لا ترجو نفعًا إلا من الله، ولا تخاف ضُراً ولا تخاف أحداً إلا الله، ولا تطيع ولا تحب إلا الله.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئًا أذكرك به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهن لا إله إلا الله» ابن حبان - الحاكم وصححه.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: 25/ 3].

فما معنى كلمة التوحيد؟ نرددها كثيراً ونأمر بها دائمًا، ولكن كيف نترجمها وكيف نصفها حتى نفهمها تمامًا؟ التوحيد من أصل: (وَحّد)؛ أي: أفرد، أي: إفراد الله سبحانه بخصائصه، أي: أن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له، نفرده نوحده في كل ما يجب علينا تجاهه، من إيمان وحب وطاعة وعبادة، أي: إفراده سبحانه وتخصيصه سبحانه وتوحيده سبحانه وعدم المشاركة معه في عبادته وفي صفاته وفي أسمائه، التوحيد من ناحيته سبحانه أي: لا مثيل له ولا شبيه له، فلا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله.

ومن ناحيتنا نحن، أي: أننا نفرده بالعبادة، فلا نعبد معه أحد، ولا نشرك معه

أحداً، ولا نشارك في صفاته أحداً، ولا نرجو ولا نطيع ولا نحب إلا هو سبحانه، متفرد في صفاته وأسمائه، نذل له، نتضرع له، ننقاد لأمره، نخلص له، ندعوه، نرجوه، نعبده، بجوارحنا وقلوبنا وألسنتنا، التوحيد إفراده سبحانه بالعبادة بأنواعها، التوحيد إفراده سبحانه بأسمائه وصفاته -أي: بخصائصه- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 54 - 56].

وهذا التوحيد الصحيح يجعلنا ننفي ونستنكر ونرفض أربعة أمور: ننفي 1- الآلهة، 2- الطواغيت، 3- الأنداد، 4- الأرباب.

1- فالآلهة: هي ما يعبد أو يرجى أو يقصد أو يخاف أو يطاع بشيء من العبادة دون الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 40/ 60].

قال: (ادعوني)، ثم قال: (يستكبرون عن عبادتي)، ولم يقل: عن دعائي، فدلّ ذلك على أن الدعاء عبادة، والدعاء هو طلبٌ في جلب منفعة أو دفع مضرة أو تحقيق هدف وهذا لا يكون إلا لله تعالى.

2- والطاغوت: هو من طَلَبَ أن يُعبد أو يُطاع من غير الله تعالى، رضي بذلك وأمر به أو لم يأمر به، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 2/ 256].

3- الأنداد: هو ما يصرفك عن دين الله وما تحبه من دون الله، فيصرفك عن دين الله وشريعته سواءً كانت أشياء أو أشخاصاً، كأهل ومسكن ومال، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 2/ 165].

4- الأرباب: من يفتي ويقضي ويحكم بمخالفة الحق وأنت تطيعه وترضاه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: 9/ 31].

وهذا التوحيد الصحيح يجعلنا نتوجه إلى الله تعالى بالعبادة الخالصة من أننا نقصده وحده، ندعوه وحده، نقدسه وحده، نحبه وحده، نرجوه ونخافه وحده نطلب منه وحده، نتذلل له ونخضع له ونتضرع له وحده، لأنه مالك الملك ورب العالمين والقادر على كل شيء.

وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله لها شروط ذكرناها ونُذكِّر بها:

1- العلم بها، 2- اليقين، 3- القبول التام، 4- الانقياد التام، 5- الصدق، 6- الإخلاص المطلق، 7- المحبة الخالصة لها ولمتبعيها، 8- كره ما يخالفها وهي عقيدة الولاء والبراء، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: 60/ 4].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» البخاري ومسلم.

فهؤلاء الذين يَدَّعونَ الإسلام، ويلبسون العمائم، ولهم ذقون الطويلة، ويتظاهرون بالإسلام والتقوى، وتراهم أمام القبور والأضرحة يبكون ويتوسلون ويطلبون العون والنصرة والمال والشفاء من هؤلاء الأموات، أهؤلاء طبقوا عقيدة التوحيد؟ أو فهموها

أو وَعَتْها قلوبهم وعقولهم؟ لا والله! لا فهموها ولا عقلوها ولا طبقوها، وإنما خالفوها وكفروا بها؛ لأن التوحيد إفراد الله تعالى بخصائصه وصفاته، والتوحيد إقرار العبد بهذا وتطبيقه لهذا التوحيد تجاه ربه، ومن خصائصه سبحانه وصفاته أنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وهو الذي يرزق ويعطي ويشفي، وجمع ذلك كله قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 1/ 5] فقط، لا شريك له ولا ند ولا مثيل له سبحانه، فإذا فهموا هذا فكيف يطلبون من غيره ويتوسلون بغيره ويتشفعون بغيره؟ فإن هذا هو الشرك بعينه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 1]، (يعدلون): يطلبون من غيره ما لا يجب أن يُطْلَب إلا منه سبحانه، يطلبون من غيره لأنهم لم يفهموا معنى التوحيد.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام في رواية أبي هريرة: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد» حم - ن - ت - جه - د - صحيح الترغيب والترهيب (3047)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 27/ 65].

وقد قسّم العلماء علم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، حتى يَسْهُلَ الفهم على الناشئة وحتى تتضح القضية، وقد ذكر الله تعالى هذه الأقسام كلها في القرآن الكريم، وبيّن سبحانه أن الكفار كانوا يؤمنون بأن الله تعالى هو الرب الخالق، وهذا هو توحيد الربوبية؛ أي: أنه سبحانه هو المتفرد بالخلق، وهذا من خصائصه سبحانه وصفاته، وقال هو سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: 39/ 62]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 13/ 16].

فالله سبحانه هو الخالق ولا خالق إلا الله، ولا مُوجِدَ إلا الله، ولا بارئ إلا الله، فتوحيد الربوبية أي: إفراده بهذه الخاصية ولا يشاركه فيها أحد. وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خالق كل صانع وصنعته» صحيح، البيهقي، ابن حبان.

والصنعة معناها: عمل الإنسان، سواءً كان عملاً جسديًا أو قلبيًا، وهذا من ضمن القول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: 39/ 62]. والكفار كانوا يعلمون أن الله خالقهم وخالق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 39/ 38].

أما توحيد الألوهية فهي: إفراد الله تعالى وتخصيصه بالعبادة أيًا كان شكلها، فالعبادة لها أنواع، كلها لله ولا يجب إشراك أحد فيها مع الله سبحانه وتعالى.

1- فالعبادة الجسدية: أن تصلي وتقوم وتقعد وتسجد وتركع وتحج وتطوف وتقف على عرفات، أو أن تجاهد بروحك وجسدك ولسانك وفكرك وقلمك، 2- العبادة الفكرية: أن تتفكر في آلاء الله وفي صنعه وفي معجزاته، أو أن تفكر في طريقة لإقناع الضالين أو المنحرفين، 3- العبادة القلبية: كأن تحب وتكره وتخاف وترجو وتتمنى، 4- العبادة المالية: أن تتصدق وتساعد المحتاج واليتامى وما إلى ذلك، كل هذه العبادات يجب أن يكون المقصود منها رضاء الله ورحمته والفوز بجنته والخوف من عقابه وسخطه وناره.

فتوحيد الألوهية هي أن تعبد الله وحده مخلصًا له راجيًا منه القبول، والعبادة لا تصح إلا إذا كانت موافقة لما شرعه الله تعالى وسنه وبيّنه رسوله عليه الصلاة والسلام.

فالله سبحانه وتعالى هو المُشرّع، ولا يُعبد الله تعالى إلا بما شرّع، فالإله هو الذي

يُعبد وحده وهو الذي يُشرع وهو الذي يُعبد بما شرّع، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «خذوا عني مناسككم» رواه البيهقي - صحيح، وقوله عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» متفق عليه، وتوحيد الألوهية هو تعلق القلب بالله تعالى، وتعلق الفكر بالله تعالى، فلا يهمك إلا رضاه ولا يهمك إلا رحمته، كل أعمالك خالصة له ترجوه بها وتخافه وتطمع في جنته وتخاف من عذابه، أقوالك وأفعالك ونياتك في سبيل مرضاته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 6/ 162 -163].

المحبة لله والكره لما يكرهه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 58/ 22].

وقالوا: إن العبادة تجمع أصلين، غاية الحب، وغاية الذل والخضوع، تعبده وتتذلل له لأنك تحبه، لأنه هو سبحانه الذي أعطاك كل شيء، ومنحك كل شيء، وبيده كل شيء، والجنة بيده، والرحمة له، والرضا منه سبحانه وتعالى، والعزة بيده.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والنيات، والعبادة لا تصح إلا بالإيمان التام والإخلاص التام والاتباع التام لسنته عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 18/ 110].

وأما توحيد الأسماء والصفات، 1- فأسماء الله سبحانه وصفاته توقيفية، أي: لا بد للاسم أن يكون له دليل من القرآن والسنة، 2- لا يشتق من الأفعال أسماء، 3- الأسماء والصفات لله تعالى، نثبت ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله، 4- لا نعطل أي اسم، لا ننفيه ولا نكيّفه ولا نمثّله ولا نشبّهه. نمررها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا كيفية، 5- لا كيف مع صفات الله، أي: أننا لا

نسأل كيف يسمع أو كيف يبصر هذا خطأ، فهو سبحانه يسمع ويبصر كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى بدون كيفية، 6- التعبد لله والتقرب إليه والالتجاء إليه ودعائه بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 7/ 180] 7- أسماء الله تعالى وصفاته ليست محصورة في (99) اسماً كما جاء في الحديث: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في أحد من كتبك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك» حم - صحيح، 8- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 42/ 11]، 9- اسم الله الأعظم، عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث: البقرة، آل عمران، طه» صحيح - ابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ ورجل يصلي ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم»، فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دعيَ به أجاب، وإذا سئل به أعطى» ت - ن - جه - صحيح - أبي داود.

وعن بريدة بن الحطيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، فقال ﷺ: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي أجاب» صحيح - أبي داود - ت - جه.

- ومعنى الشهادة:

أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد من الشهادة، أي: أنه شهد، رأى وشهد وعَايَنَ أن لا إله إلا الله، كيف شهدت؟ وكيف رأيت؟ وكيف عاينت؟

تقول: أشهد أي أنا كنت شاهداً حاضراً، كيف تكون حاضراً بلا إله إلا الله؟

الجواب: أنا أشهد بأن لا إله إلا الله لأني رأيت خلق الله ورأيت سمواته وأرضه،

رأيت معجزاته، ورأيت هذا الكون وما فيه، رأيت الدِقّة في كل شيء خَلَقَهُ، رأيت الرحمة في كل شيء خلقه، رأيت الجمال في كل شيء خلقه.

أنا لم أرَ الله تعالى، ولم أشاهد الله تعالى، ولكني رأيت ما يدل عليه سبحانه، رأيت وشاهدت وعاينت فعله وقدرته، رأيت صفاته وأسمائه؛

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: 27/ 60 - 64].

ولما عاينت خلقه أيقنت بأنه لن يخلق هذا الخلق المحكم، ويصور هذا التصوير البديع ثم لا يضع لي نظاماً كي أعيش فيه وبه، لا يمكن أن يكون الكون مُحْكَماً مُنَظَّماً دقيقاً مُتَوازِناً في كل حركة وفي كل سكنة ثم يتركه خالقه وموجوده هكذا هملاً بدون نظام وبدون تشريع وبدون دستور، أبداً لا يمكن، إذا كان البشر وهم بشر إذا بنوا معملاً أو مصنعاً بعد البناء والآلات والتنظيم يضعون نظاماً للعمال والموظفين دستوراً للعمل، يضعون منهجاً ومخططاً وهدفاً لهذا المعمل، إذا كان هذ صنع البشر فكيف برب البشر؟ ولله المثل الأعلى، كما أنه سبحانه خلق الكون فأحسن خلقه، كذلك الله سبحانه أنزل شريعة ودستوراً لعيش الناس به، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: 42/ 13]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية: 45/ 18]. رأيت خلقه ورأيت شريعته ورأيت

أحكامه فشهدت أن لا إله إلا الله، وشهدت بأنه الله هو الإله الخالق المستحق للعبادة والتمجيد والمحبة والتعظيم والطاعة، نعم شهدت أن لا إله إلا هو ولا خالق إلا هو ولا مدبر ولا قادر إلا هو سبحانه وتعالى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كيف شهدت بأن محمداً عبده ورسوله؟ أيضاً عرفت صدقه وأمانته، عرفت شهادة أعدائه به، عرفت أحكامه التي لا يمكن أن تكون من صنع البشر، لأن البشر مهما كانوا عباقرة وحكماء وعظماء لكن لا بد أن ترى أغلاطاً وأخطاءً وأحكاماً يعتريها النقص، أما أن تجد محمداً ﷺ النبي والرسول والقائد والزوج والأب والحكم والقاضي والمنظم والمنظر لا يعتريه خطأ، ولا يرتكب غلطاً، ولا يمكن أن تجد له شائبة، فمعنى هذا أنه مؤيد من الله ومُسَدّد من الله، وموحى إليه من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 53/ 3 - 4]، العدل والرحمة والشفقة واللطف والإنسانية الحقّة في كلامه وفي تصرفاته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «ما خُيّر النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله» رواه البخاري.

نحن يا عباد الله كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 3/ 110].

نعم، إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر طاعة لربنا وتصديقاً بكلام نبينا، إيماناً لا شك فيه وثقة بوعده ووعيده.

نحن يا عباد الله أصحاب الكتاب الصحيح المنسوب إلى رب العزة جل وعلا، ولا كتاب غيره، ولا يصح غيره، ولا يسلم غيره، وحفظه بالله ومن الله.

نحن يا عباد الله أصحاب الشريعة المثلى، الحنيفية السمحة، التي ارتضاها ربنا

لنا، قال تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: 5/ 3]، والتي حفظها ربنا لنا شريعة متمثلة في كتابه وسنة نبيه.

نحن ياعباد الله أتباع محمد ﷺ. المبعوث رحمة للعالمين، قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» حب، صاحب الشفاعة العظمى، صاحب المقام المحمود، أول من تفتح له الجنة، الشافع المشفع، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: 9/ 33]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: 48/ 28]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: 61/ 9]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 21/ 107].

نحن يا عباد الله أصحاب شريعة سمحة وأصحاب شريعة رحيمة، عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته» رواه مسلم – مسند الإمام أحمد.

ومر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال عليه الصلاة والسلام: «أفلا قبل هذا؟! أوتريد أن تميتها موتتين؟!» الطبراني عن العباس بن عبد المطلب والحاكم عن ابن عباس.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنهم كانوا في سفر مع النبي ﷺ، فأخذوا طائرين صغيرين من عش، فجاءت الأم تطير وترفرف بجناحيها عند رسول الله ﷺ، فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا إليها ولدها» رواه أبي داود.

ولما أحرق بعض الصحابة قرية نمل فنهاهم وقال عليه الصلاة والسلام:

«لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار» أبو داود.

وكان عليه الصلاة والسلام رحيماً بالناس والأطفال واليتامى والأرامل، وكان يلاطف عليه الصلاة والسلام الصِّبية، وقد كان لغلام اسمه عمير طائر صغير يلعب به اسمه النغير، فكان رسول الله ﷺ إذا لقيه يقول له: «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» متفق عليه.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «من لا يرحم لا يُرحم» متفق عليه عن جرير وأبي هريرة.

وعنه ﷺ: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» متفق عليه عن جرير: «ولا تنزع الرحمة إلا من شقي» حم - د - ك - حب.

وعن سهيل بن سعد عن النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» البخاري وضم بين السبابة والوسطى.

هذا ديننا وربنا أرحم الراحمين، ورسولنا أكرم الأكرمين، وصحابة رسولنا أفضل الناس أجمعين، وديننا بالكتاب والسنة محفوظ من قبل رب الناس لا من قبل الناس، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله تكون: 1- في إطاعته فيما أمر، 2- تصديقه فيما أخبر، 3- اجتناب ما نهى عنه وزجر، 4- أن لا يُعبد الله سبحانه إلا بما شرع الله أو شرع به رسوله عليه الصلاة والسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم